من باب أولى يصوم عن الحرام، درسٌ عظيم، لماذا؟ لأنه إذا صام عن هذه الأمور المباحة الطعام والشَّراب، واستطاع أن يملك نفسه وأن يُصبرِّها، من باب أولى يصبر عن الحرام كالخمر والسَّرقة والفسق والفجور وقول الزُّور والزِّنا، إذا صبر عن امرأته بالحلال لأنَّ الله أمره، فمن باب أولى يصبر عن الحرام، إن نفسه الآن تعوَّدت، تعوَّدت الصَّبر والله الصِّيام شيءٌ عظيم، تربية للمسلمين تربية عظيمة.

ونصوم كذلك نحن المسلمين، لأنَّ الصِّيام يكوِّن ويقوِّي مَلكة العاطفة والرَّحمة، خَلق العطف والرَّحم في المسلم يقوِّيه، لأنَّ الجوع والحرمان، لا يعرفه إلا من يكابده، فيرحم المسلم أخاه يشعر بالجوع ويشعر بالصَّبر، فيرحم المسلم أخاه ويطعمه إذا جاع، فالصوم أمره عظيم، نصوم لأنَّه يقوِّي الرَّحمة في قلوبنا، ويقوِّي العطف على الفقراء والمحتاجين، وقد قال المصطفى ﷺ: (مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ)، (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)

فخلق الرَّحمة يتكون للمؤمن ويقوي من شعوره بالجوع، فينظر الجائعين وينظر العارين فيسارع إلى ذلك، ولا سيما في هذا الشَّهر وقد كان -صلى الله عليه وسلم- أجود ما يكون في رمضان، ونصوم نحن المسلمين كذلك لأنَّ الصِّيام أمره عظيم يقطع دابر الفساد، ويقلل من الشَّر، ووساوس الشَّيطان، وقد ثبت أنَّ الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم، وتضييق مجاريه بالجوع، ولذلك

قال ﷺ كما في الصَّحيحين: (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ) نعم تصفيد الشَّياطين واقع نراه وذلك بالجوع، أنَّ الجوع يضيِّق وساوس الشَّيطان تذكُّر الصِّيام، الجوع يضيِّق، وقد قال صُفِّدت ولم يقل قتلت، فإنَّ الشَّيطان قد يكون حيًا مصفَّدًا ويؤذي، لكن أذيَّته وشيطنته بالنسبة للإفطار أقلّ في الصِّيام، ولذلك الواقع ما نراه في حال المسلمين في هذا الشَّهر تقلّ الحوادث والخصومات، وتقلّ المشاكل نسبيًا عن غيرها من الشُّهور وهذا واقع ملموس، لماذا نصوم نحن المسلمين؟

كما قلت فإن الصِّيام الآن يقطع دافع الفساد، ويقلل من الشَّر وطرق الشَّيطان وذلك لأنَّ الشَّيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم، وقد أمر -صلى الله عليه وسلم- بتضييق مجاريه بالجوع، فوساوس الشَّيطان ومكايده تقل في هذا الشَّهر، ولاسيما بالصَّوم عامة، وفي هذا الشَّهر خاصَّة، وهذا مُشاهد محسوسٌ ملموس.

وقد أرشد المصطفى ﷺ قال: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) هذا الصَّوم له وجاء يقطع وساوس الشَّيطان، ويقطع الشَّهوة، ويقلّلها، والله إن الصِّيام جُنة، وقد ورد في حديث: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ) يعني حصن حصين يتحصَّن الإنسان به بربه - تبارك وتعالى- يكون مع ربه ذاكرا له.

ونصوم كذلك نحن المسلمين لماذا؟ ... الصيام ... يوم القيامة، والله إنَّه ... عظيمة الصوم من غير الطَّاعات، وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) سبحان الله، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد، وهم خاص لهم جزاءً هذا باب الرَّيان الذي يرغم العبد نفسه في هذه الحياة لله -تبارك وتعالى- فيعاقبُه جزاءً، شيءٌ مميز خاصٌ للمؤمنين الصَّائمين الصَّادقين، وهذه حكمة عظيمة للصَّائم،

وكذلك نصوم نحن المسلمين لماذا يا عباد الله؟ لأنَّ الصِّيام صحة للبدن وراحة له، وقد قالوا راحة البدن في قلة الطعام، وراحة العقل في قلة الكلام، والمشاهد في هذا الشَّهر المبارك أنَّ الصِّيام صحة للعبد، كثرة الطَّعام مضرَّة للجسد، وقد قال الله -عزَّ وجل-: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]

فكثرة الطعام والشَّراب قد تؤدي إلى كثرة السِّمن، وهي تضر بالإنسان، والصِّيام يُذهب بكثير من السُّموم والشُّحوم في البدن، وقد شهد الأطباء بهذا الصِّيام وما في فوائده من أمور للإنسان، ويدلُّ ذلك على عظمة التَّشريع، تشريع الصِّيام، وقد ورد حديث وإن كان فيه ما فيه (صُومُوا تَصِحُّوا) وهذا الحديث وإن كان فيه كلام، لكنَّ الصِّيام بصفة عامة، والله إنَّه يفيد الإنسان في بدنه، يفيد الإنسان في قلبه في عقله.

نسأل الله -تبارك وتعالى- أن يتقبَّل منا.

ونصوم هذا الشَّهر المبارك لما أولانا الله -عزَّ وجل- من النِّعم والفضل، حيث إنَّ فيه ليلة في هذا الشَّهر خيرٌ من ألف شهر، والصَّائم دعوته مستجابة، قد ورد عن المصطفى ﷺ أنَّ للصَّائم دعوة مستجابة حين يفطر، يقول المصطفى ﷺ: (ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) فالصَّوم شيءٌ عظيم، يكفيه هذا الشَّرف أنَّه عند فِطره ينادي العبد ربَّه، يا الله، يا ربِّ اغفر لي ذنوبي، وطهِّرني يا أرحم الرَّاحمين، هذا شيء عظيم.

نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلنا وإيَّاكم ممن يصوم هذا الشَّهر المبارك، ويعظمه حق التَّعظيم، هذه الثَّلاثين يوم، الظَّرف في هذا الشَّهر المبارك نصوم، عرفنا لماذا نصوم في هذا الشَّهر المبارك؟ لأنَّ الله -عزَّ وجل- يحبّ الصَّوم، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه.

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم، بمنِّه وكرمه أن يقبلنا في هذا الشَّهر المبارك إنه جوادٌ كريم، وأكتفي بهذا.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

اعداد فريق المقالات بموقع ميراث الأنبياء

حقوق الطبع محفوظة

لماذا نصوم

فضيلة الشيخ
عبد الرحمن بن صالح المحمد الدين
حفظه الله

ميراث الأنبياء
Miraath.Net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء وأكرم المرسلين، سيِّدنا ونبيِّنا وحبيبنا محمَّد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنَّته إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فمعاشر الإخوة الكرام:

نتحدَّث إليكم في هذه السُّويعة المباركة من هذا اليوم العظيم، اليوم السَّابع عشر من شهر رمضان المعظم، لعام الثَّلاثين بعد الأربعمائة والألف من هجرة سيِّد ولد عدنان، نتحدَّث إليكم في هذا الشَّهر عن هذا الصِّيام المبارك الذي شرعه الله لنا -جلَّ وعلا- بقوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 183]

لماذا نصوم نحن المسلمين؟ هكذا ينبغي كل منَّا أن يسأل نفسه لماذا نصوم؟

عرفنا معاشر الإخوة لماذا نحن مسلمين؟ ولماذا نحن نصلِّي لله ربِّ العالمين؟ الصَّلاة خير عمل يعمله الإنسان فليستقلّ أو ليستكثر، كذلك الصِّيام.

الصِّيام وإن كان معناه في اللُّغة الإمساك عن الشَّيء مطلقا، يُقال صام عن الحركة إذا سكن، وصام عن الكلام إذا لم يتكلم، وصام عن الطَّعام إذا لم يأكل أو يشرب، فالصِّيام الإمساك، وقد قال الله -عزَّ وجل- حكاية عن مريم – عليها السَّلام- تلك المؤمنة الصَّالحة الطَّاهرة أمُّ عيسى قالت لما أتت به قومها تحمله، قالت: ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾[مريم: 26] فصمتت عن الكلام، لا تتكلم لماذا؟ لأنَّها أتت بآية من آيات الله دالة على صدقها، ثمَّ أشارت إليه، ولم تتكلم أشارت إليه بيدها فتكلم في المهد ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ [مريم: -29 30] هذا الصِّيام في اللُّغة.

ومعناه في الاصطلاح وفي شرع نبيِّنا محمَّد ﷺ :هو الإمساك عن الطعام والشَّراب وغشيان النِّساء وسائر المفطرات بنيَّة التَّعبد لله -تبارك وتعالى- امتثالا لأمره، وخضعانا لكلامه -جلَّ وعلا- من طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس، من طلوع بزوغ الفجر، من تبيُّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، هكذا قال ربُّنا -تبارك وتعالى-: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ [البقرة: 187]

والله إنَّه خيط نور دقيق، يظهر في الأفق بياضًا بعد سواد، هذا هو الخيط الأبيض.

ثمَّ ينتشر الضَّوء ويسفر، فيحرم الطَّعام والشَّراب من عند بداية الخيط قبل الإسفار، ومن قال إنه يأكل أو يشرب في الإسفار، والله إنه على غير هداية بنصِّ القرآن الكريم، نصوم عن الطَّعام والشَّراب والنِّساء، وتسمَّى شهوة وقد قال الله – عز وجل-: (يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي).

ورد في الحديث الصَّحيح أنَّ الله- عزَّ وجل - قال: (يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ) معنى شهوته شهوة النِّساء هكذا، فالصِّيام الإمساك عن الأكل، والشُّرب، وغشيان النِّساء، ووطئهنَّ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فالإنسان يتحرَّز في هذا الباب.

نصوم يا عباد الله لأنَّ الصَّوم عبادة تعبدنا الله بها فنصوم لأنَّنا أسلمنا، واستسلمنا لله – تبارك وتعالى- آمنا بربنا -لا إله إلا هو- فأمرنا بالصِّيام فاستجبنا له، استجبنا له وامتثلنا أمره، يا ويل العاصي الذي لا يصوم، والله عصى ربَّه سبحانه – جلَّ وعلا-.

نصوم لأنَّنا عبيد، نمتثل أمر مولانا وسيدنا، لأنَّه يكرم من استجاب له، ويهين من عصى أمره، والله يذلُّه من عصى أمره، ويهينه سبحانه، ومن يهن الله فما له من مكرم.

نصوم لأنَّ الله تعبَّدنا بهذا الأمر، هذه العبادة التي شرعها الله لتطهير أرواحنا،

نصوم لنطهِّر أرواحنا، ونزكِّي أنفسنا بالصِّيام، لماذا يا عباد الله؟ لأنَّ الصَّائم كلما حرَّكته الشَّهوة، أو غريزة

الطَّعام والشَّراب ذكر صومه لله، ذكر صومه فهو يذكر ربَّه، نسأل الله أن يجيرنا وإيَّاكم من الغفلة، وهذا من علامات إصلاح القلب للعبد، أنَّه يصوم لله سبحانه – جلَّ وعلا- يراقب ربَّه، ما أحد عليه في خلوته ولا جلوته مراقب إلا الله، فهو إذا حرَّكه الطَّعام أو الشَّراب أو الشَّهوة ذكر الصَّوم، ذكر الله – عزَّ وجل- لأنَّ الله أمره بالصَّوم، وهذه تزكية للنَّفس، تطهير أنَّها تراقب الله – جلَّ وعلا- نسأل الله القبول وإصلاح القلوب.

ونصوم يا عباد الله، لأنَّ ربنا يحبّ الصَّوم، ربنا يحبّ الصَّائمين، يحبّ الصِّيام والصَّائمين فقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) أطيب و أحبّ، أطيب سبحان الله خلوف فم الصَّائم إذا تغيَّر فمه من ترك الطَّعام والشَّراب هذا شيء عظيم عند الله، عند الرَّب – سبحانه وتعالى- لأنَّه مترتِّب على عبادة، ترتَّب هذا الخلوف، ونتج وظهر عن عبادة عظيمة عبادة جسمية أثَّرت في نفسه، وأثَّرت في جسمه، هكذا ولذلك له فرحتان يفرحهما الصَّائم، يفرحهما لأنَّ الله يفرح للصَّائم قال المصطفى ﷺ :

(لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) والحديث في الصَّحيح، للصَّائم فرحتان

- إذا لقي ربه،
- إذا أفطر

سبحان الله، لأنَّه أدَّى الأمانة، وشرع الله له الطَّعام الآن في المغرب أو في نهاية رمضان، ولذلك يوم العيد يوم فرح، لماذا؟

لأنَّه امتثل الله – عزَّ وجل- علينا، وكمَّلنا الشَّهر، وصمناه صيامًا طيبا مباركا، والله يفرح المؤمن لأنَّه أدَّى ما عليه من أمانة، يفرح بصومه، ويفرح إذا لقي ربه – جلَّ وعلا- لعظم الجزاء.

ونصوم معاشر المسلمين نحن لأنَّ الصَّوم كما قلت تزكية للنُّفوس، وتطهير للأرواح حيث إنَّه ضبط للنَّفس، وتعويدها على الصَّبر، والوقوف في وجه المغريات والمفاتن؛ لأنَّه هذا ضبط النَّفس ولذلك سمِّي شهر الصَّبر هذا الشَّهر المبارك، لماذا؟

لأنَّ الإنسان يقف بنفسه أمام المغريات والمفاتن الذي يتهاوى كثير فيها من ضعاف النُّفوس، ولذلك من لم يمنعه صيامه عن قول الزُّور والإثم والفحش فلا صيام له، ما الفائدة من صيامه إذا كان يوم صومه ويوم فطره سواء، وقد قال الله – عزَّ وجل-: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: 183] وهي علَّة الصِّيام التَّقوى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: 197]

هذا الصِّيام نصوم، لأنَّ الصِّيام ضبط للنَّفس، تعويدها على الصَّبر، تعويدها على حبسها عن مفاتن الحياة، ومغريات الحياة، إذا كان صام على الحلال فوالله من